الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

تنوير

عاشوراء التاريخ في واقعنا المعاصر

عندما نعيش كل سنة في ذكرى عاشوراء ، فإننا نبحث عن جمهور عاشوراء في كل مرحلة من مراحل حياتنا المعاصرة ، لأن الهدف من بقاء هذه الذكرى على مدى الزمن ، هو أن تُنتج لنا حالة حسينية في كل مرحلة من مراحل حركتنا الإسلامية في العالم ، لأن المسألة هي أننا لا نريد أن نُجَمِد التاريخ كما يفعل الكثيرون من الناس الذين يعملون على أن يسكنوا في الماضي ، من دون أن يواجهوا مسؤولياتهم في الحاضر . وهذا أمر مرفوض في التفكير الإسلامي ، لأن الخط الإسلامي الذي ركزه الله تعالى في كتابه ، هو أن لكل أمة كتابها ، ولكل أمة عملها نتيجة مسؤولياتها وواجباتها .

وهذا يعني أننا لسنا مسؤولين عما حدث في زمان الإمام الحسين (ع) ، إذ أن المسؤولين هم الناس الذين عاشوا هناك ، سواء الذين تحركوا في خط المسؤولية فكانوا مع الحسين (ع) ، أو الذين ابتعدوا عن خط المسؤولية فوقفوا على الحياد ، أو الذين ضاعت مواقفهم أمام عواطفهم؛ فكانت أمامهم مصالحهم إذ كانت قلوبهم مع الحسين (ع) وسيوفهم عليه .

هناك حالة الذين يلتزمون الحق ويتحركون من خلاله . هنا علينا - ونحن نقرأ ذلك التاريخ وننفعل به - أن نحدد مواقفنا : مَن نحن؟ هل نحن مع فريق الحياديين ؟ هل نحن من فريق الذين يغلبون مصالحهم على مبادئهم ؟ هل نحن من فريق الذين يؤمنون بالباطل؟ أو نحن من فريق الذين يؤمنون بالحق؟

عندما نستمع ، بعد هذا الوقت الطويل من التاريخ ، إلى سيرة الإمام الحسين (ع)، وسيرة الذين يلتزمون بالباطل ، وسيرة الذين يتعاطفون مع الحق ولكنهم يقفون مواقف الباطل ؛ عندما نواجه هؤلاء ، فعلينا أن نعيش في داخل نفوسنا موقفاً نفسياً تجاههم، فنرفض الذين التزموا الباطل ، وننفتح على الذين عرفوا الحق فانطلقوا معه .

وعندما تعيش حالة نفسية أمام التاريخ، فعليك أن تحدد موقفك أمام النماذج الموجودة في الواقع ، هل أنا من هؤلاء الذين يقفون مع الحق ويواجهون التحديات ، أو من الذين يتجنبون الدخول في ساحة الصراع ، فيجلسون على التل عندما تزدحم ساحات الصراع بالمواقف الصعبة ، أو من الذين يقولون إننا لا نحب المشاكل لأنفسنا؟، ليتغلب هذا الجانب على ذاك، ويتغلب ذاك الجانب على ذلك إذ ليس لنا مصلحة هنا ولا هناك، وبذلك نكون حياديين بين الحق والباطل فلا نتخذ موقفاً محدداً .

بعض الناس على عهد الإمام الحسين (ع) كانوا يفكرون بهذه الطريقة ، كما كان بعض الناس في زمن الإمام علي (ع) يفكرون بالطريقة نفسها . وهذا موقف مرفوض ، لأن معنى أن تكون حيادياً هو أن تكون مع الباطل .

أما النموذج الثالث ، فهو نموذج الناس الذين يتعاطفون مع الحق كمن يحب أهل الخير ، ولكنه ليس مستعداً لأن يلتزم مسؤولية الخير . يحب أهل العدل ، ولكنه ليس مستعداً أن يلتزم خط العدل . يحب أهل الحق ، ولكنه ، ليس مستعداً أن يتحمل مسؤولية الحق معهم ، بل كل ذلك وفق حساباته الخاصة وعلى أساس مصالحه المادية ، بحيث يلاحظ ما هي مصالحه المادية فيحاول أن يتحرك فيها.

وهناك حالة الذين يلتزمون الحق ويتحركون من خلاله. هنا علينا - ونحن نقرأ ذلك التاريخ وننفعل به - أن نحدد مواقفنا : مَن نحن؟ هل نحن مع فريق الحياديين ؟ هل نحن من فريق الذين يغلبون مصالحهم على مبادئهم ؟ هل نحن من فريق الذين يؤمنون بالباطل؟ أو نحن من فريق الذين يؤمنون بالحق؟

اللهم أرنا الحق حقاً فنتبعه ، والباطل باطلاً فنجتنبه .

المحرر

الإمام الحسين (عليه السلام).. الشخصية والمنهج

د. صلاح عبد الرزاق
باحث اسلامي

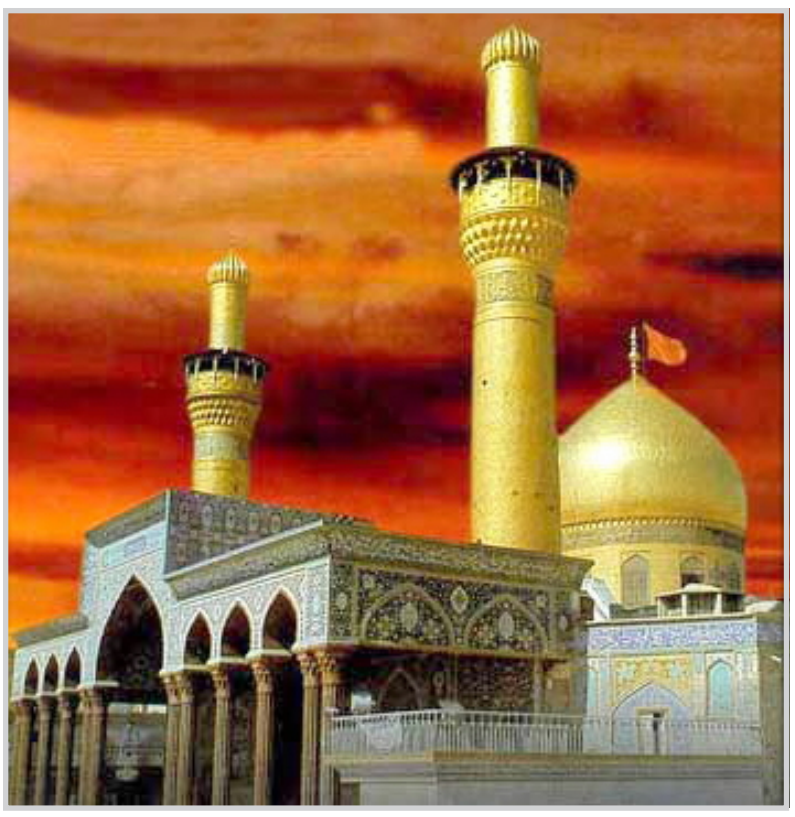

أهمية دراسة الشخصيات التاريخية

عند دراسة أية نظرية أو فكرة أو حركة يجب دراسة شخصية الفرد المؤسس لها من جوانبها كافة الفكرية والاجتماعية والأخلاقية كي يتم التعرف بعمق على ماهية هذه الفكرة من خلال التعمق في شخصية مؤسسها، ومتابعة ما إذا كانت هذه الشخصية تنسجم كلياً مع مبادئ تلك الفكرة أو الفلسفة، لأن ذلك يتيح للباحث تقييم الفكرة ومدى تأثيرها وهيمنة أفكارها على صاحبها أولاً.

وينطبق ذلك على الديانات أيضاً. فالله سبحانه وتعالى لا يختار للرسالة سوى تلك الشخصيات التي تمتلك كفاءات وصفات قادرة على حمل عبء الرسالة ، وأن تكون من أفضل شخصيات عصرها علماً وورعاً وعفة وصدقاً وحكمة وشجاعة وصبراً وقيادة . صحيح أننا نؤمن بذلك من خلال عقيدتنا الإسلامية التي ترى في أن جميع الأنبياء معصومون قبل البعثة وبعدها لأنهم يحملون الأحكام الإلهية للبشر، ولا يمكن أن يكون هناك تفاوت ولو بسيط بين التعاليم التي جاءوا بها سلوك أو تصرف مهما كان بسيطاً لأنهم يمثلون القدوة للبشرية في سلوكهم وكلامهم ومواقفهم طوال حياتهم، ولكن لا يتناقض الإيمان بالعصمة مع البحث التاريخي لشخصية النبي والرسول.

لذلك فإن دراسة الأنبياء العظام من الذين تتوفر عنهم مصادر تاريخية موثوق بها سواء ما جاء في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة أو السيرة الشريفة تؤكد الحقائق والأحداث التاريخية . إن دراسة شخصية الرسول محمد (ص) والتعرف على سجاياه وأخلاقه قبل البعثة أمر ذو أهمية كبيرة يؤكد ما جاء به الوحي. فلقد كان (ص) يعرف بالصادق الأمين وهما صفتان قلما يتصف بهما شخص في مكة آنذاك. ولم يسجل عليه أعداؤه من قريش وغيرهم في يوم ما كذبة أو تصرفاً مشيناً. إذ كان في شبابه يتجنب مجالس اللهو ولا يدخل حانات مكة التي اعتادها القرشيون، ولم تسجل عليه ملاحظة أخلاقية مطلقاً. فقد كان عفيف النفس، ذا خلق عظيم كما وصفه القرآن. ولو كان في سلوكه (ص) قبل البعثة ما يشين لما توقف أعداء الإسلام من نبزه بها والتشنيع عليه.

ويشير القرآن الكريم إلى طفولة الرسول (ص) بقوله (ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى) .

بعد البعثة الشريفة تعرض الرسول لاتهامات كثيرة من أعداء الإسلام. وبقي القرآن يدافع عنه ويرد تلك الاتهامات التي تتهمه تارة بالسحر أو التعلم من أعجمي أو النقل عن التوراة والإنجيل، وينفي عنه الجنون أو الافتراء على الله أو التخيل (ما كذب الفؤاد ما رأى)، وغيرها من الاتهامات التي ذكرها الله تعالى في كتابه المجيد.

وهكذا يجب البحث عن جوانب شخصية كل العظماء والمفكرين والفلاسفة وعلاقاتهم بمن يحيطون بهم وبمجتمعاتهم كي نعرف حقيقة دعوتهم وآرائهم وأفكارهم، وفيما إذا كان ما يعلنونه مجرد شعارات أم لا. فقد تكون الفكرة ذات بعد أخلاقي وإنساني عال ولكن صاحبها لا يطبقها في حياته. فعلى سبيل المثال كشف بحث تاريخي أن ماركس الذي كان ينادي بحقوق العمال والعدالة الاجتماعية كان كثيرا ما لا يدفع أجور عمال مطبعته في ألمانيا. وآخر كان ينادي بحقوق المرأة ثم تم اكتشاف وجود عدة عشيقات له دون زوجته.

من خلال هذا المنهج يمكننا التعرف على كل الشخصيات الإسلامية من صحابة أو خلفاء أو فقهاء أو غيرهم ومطابقة أفعالها مع القرآن الكريم والسنة النبوية باعتبارهما المعيار في التقييم. ولا نخشى كذلك في تطبيقه على سيرة الأئمة عليهم السلام.

شخصية الإمام الحسين (ع)

واليوم ندرس صاحب الثورة الكربلائية، الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، وندرس شخصية هذا الإمام الثائر كي نرى هل كان طالب سلطة أم مغنم دنيوي أو باحثاً عن مجد شخصي كما يدعي بعض المؤرخين والباحثين أم كان يريد إصلاح أمة جده التي انحرفت عن جادة الحق بسبب انحراف الخلافة.

تهيأت للإمام بيئة ونسب لم يحظ أحد بهما لا قبله ولا بعده عدا أخيه الإمام الحسن المجتبى: والده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ووالدته فاطمة الزهراء وهو أطهر حضن وأشرف بيت في العرب، وجده رسول الله (ص) معلم الإنسانية ومربي البشرية ، أشرف الأنبياء وأسمى المخلوقات. في هذا البيت النبوي العلوي تربى الحسين، ورضع أخلاق النبوة وشب على مبادئ الرسالة الإسلامية.

الحسين في القرآن

هناك آيات عديدة نزلت في حق الإمام الحسين باعتبارها عضواً في العائلة العلوية الشريفة مثل آية التطهير (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا). وآية المودة (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا).

ولكن هناك آية تشير إليه وأخيه الحسن بشكل أوضح وهي آية المباهلة حيث سمته بلفظة (أبناءنا) في قوله تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم، فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين). فالإمام الحسين عليه السلام يمثل الجيل الثاني من الرسالة الإسلامية. وقد نسبه الله تعالى إلى الرسول ودعاه بابنه كما ورد في الآية، فهو (ع) من خط جده (ص)، ومنهجه (ع) هو الإسلام المحمدي الأصيل الذي عرفه وتشبع به فصار معلماً من معالمه.

الحسين في السنة النبوية

هناك أحاديث كثيرة توضح منزلة الإمام الحسين (ع) العالية أراد النبي (ص) أن ينبه الأمة إليها مثل قوله (ص): (حسين مني وأنا من حسين) ، (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا) ، (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، (اللهم إني أحبهما وأحب من أحبهما)، (إن أبني هذين ريحانتاي من الدنيا)، (من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني). وكان عليه السلام معروفاً بخشوعه في صلاته وورعه وسمو أخلاقه بين الناس وتواضعه حيث كان يأكل مع المساكين إذا دعوه.

كيف ندرس ثورة الحسين؟

أولاً : ما زالت ثورة الإمام الحسين مشعلاً ينير درب الثائرين والمجاهدين من أجل إعلاء كلمة الحق وإرساء معالم العدل . وكل عام نستعيد الذكرى وتفاصيل الواقعة المؤلمة. وكل فرد يرتشف من ثورة الحسين بقدر ما يدركه أو يفهمه أو يشعره من معانٍ ومشاعر وتصورات. لذلك ترى الجميع يتمسكون به وبخطه ولكن من خلال رؤى متنوعة وفهم متفاوت ولكن الذي يجمعهم هو الولاء للإمام وخطه ومنهجه. فالفقيه يفهم الجوانب الشرعية من الثورة، والسياسي يؤكد الدور السياسي للثورة في ذلك العصر، والمجاهد يرى فيها أنموذجاً يحتذى في مواجهة الظلم والقهر، والشخص العادي يرى في بكائه وتضامنه ثواباً كبيراً ومواساة لرسول الله (ص). وكل له ثوابه إن شاء الله وليست ثورة الحسين حكراً لفئة معينة أو فهماً محدداً أو تفسيراً معيناً. فهي معين ينهل المسلمون منه كي يتجدد الإسلام وتستمر شعلته في التوهج.

ثانياً: من خلال استعادة ذكرى الواقعة نجد أن بعض الناس يؤكد على الجانب التاريخي وسرد الأحداث بشكل تفصيلي بحيث يأخذ جمهور المستمعين إلى زوايا التاريخ ويطوف بهم بين المشاهد التاريخية في عصر الإمام من خلال سرد مواقف المعاصرين للحدث سواء من معسكر الإمام أو معسكر الأعداء، والتركيز على ما جرى في كربلاء والكوفة والشام والمدينة وردود أفعال أهلها تجاه الحدث. وهذا كله جيد ومهم ولكن لا يجب الاقتصار عليه، أي نريد أن نجلب التاريخ إلى عصرنا ونحاكم أحداث ووقائع عصرنا على معايير الثورة الحسينية.

ترى لو تمثلنا واقعة الطف اليوم وافترضنا أن الإمام الحسين (ع) كان معاصراً لنا أي يشهد ما نشهده، فماذا كان موقفه وفق المنطلقات التي أعلنها قبل ثورته؟ ألا يوجد اليوم آلاف مثل يزيد والشمر وعمر بن سعد وعبيد الله بن زياد؟ ألا يمارس الحكام العرب والمسلمون اليوم نفس ممارسات أعداء الحسين المعاصرين له؟ ألا يتولى الحكم اليوم من هم أخس وأدنى من يزيد ويحكم باسم الإسلام؟ ألا يوجد اليوم من هم أمثال جنود جيش يزيد، يقتلون النساء والأطفال، وينتهكون الحرمات؟ ألا يوجد من يرفع شعارات إسلامية ويرتكب أبشع الجرائم باسم الجهاد والمقاومة؟ ألا يوجد من علماء السوء من يجاهرون بعدائهم وفتاواهم المحرضة على قتل وتهجير أتباع الحسين (ع)؟

ثم من جانب آخر ألا يوجد رجال أحرار انتهجوا نهج الحسين وقدموا أرواحهم ودماءهم وأهليهم فداء للعقيدة والدين والأمة؟ ألا يوجد اليوم آلاف من الشهداء في العراق وإيران ولبنان وفلسطين وغيرها ممن استشهدوا دفاعاً عن الأمة ومقدساتها؟

هنا يجب أن نحدد مع من نقف: مع معسكر الحسين المعاصر أو مع معسكر يزيد المعاصر؟ هل نعتذر من نصرة الحق كما اعتذر بعضهم عن نصرة الحسين؟ هل نتخاذل عن دعم الحق والعدل كما فعل حجارة بن أبجر وشبث بن ربعي وغيرهم ممن اشتراهم المال ؟ أم نقف وقفة رجولة وبطولة في اللحظات الأخيرة كما فعل الحر بن يزيد الرياحي وزهير بن القين؟ أم نكون قد اتخذنا قرارنا وأننا من أنصار الحسين وخطه أمثال هاني بن عروة ومسلم بن عوسجة وحبيب بن مظاهر الأسدي وعابس الشاكري وغيرهم من أنصار الإمام ؟

ثالثاً: أعطت الثورة الشرعية الإسلامية لقضية حساسة جداً في العلاقة بين الأمة والحكومة، وهي كيفية إزاحة الحاكم الظالم عن السلطة ولو بالقوة دون الاتهام بالبغي والردة والكفر.

فهذه القضية تناقش نظرياً في الفقه عند تناول مسألة عزل الخليفة حين يفقد أحد شروط الخلافة ولكن لم تتم مناقشة كيفية عزله ومن قبل من؟ بعضهم أشار للشورى وأهل الحل والعقد وهم غالباً من بطانة الحكم ودعائمه. أما دور الجماهير فمغيب دائماً ولا حول لهم ولا قوة.

إن الإمام الحسين وهو الإمام المعصوم قد عبّد الطريق أمام الأحرار والثوار لينتفضوا بوجه الحاكم الظالم وعزله ولو بالقوة. لقد أعاد الإمام الحسين للإسلام كرامته وشرفه بعد أن تم ترويض الأمة على الخضوع والخنوع تارة بالقوة والبطش وتارة بالفقه السلطاني الذي ينكر على الأمة مخالفة الحاكم تحت ذريعة الفتنة والبغي.

الثورة الحسينية في فكر الشهيد الصدر

ازهر سالم
كاتب

آية الله العظمى محمد محمد صادق الصدر

كان الشهيد السيد محمد الصدر (رحمه الله) قد اتخذ من ثورة الإمام الحسين (ع) منهجاً لحياته وجهاده ، فقد كان مستعداً للشهادة منذ أن ارتدى كفنه وهو يؤم المصلين في مسجد الكوفة خطيباً وإماماً. وكان رحمه الله قد قام بتأليف كتاب بعنوان (أضواء على ثورة الإمام الحسين (ع) عام ١٩٩٦، ناقش فيه مختلف القضايا الفكرية والتاريخية والعقائدية فيما يتعلق بالثورة الحسينية منذ انطلاقتها وحتى الشهادة .

ولما كان ما يطرحه عميق الفكرة ، متجاوزاً لما اعتاد بعض الناس عليه ، يفاجئ السيد الصدر القارئ بشروط يفترضها بمن يقرأ الكتاب وهي :

١-أن يكون موضوعي التفكير لم يختر سلفاً اتجاهاً مغايراً ، بل يحاول أن يحكّم عقله الخالص في كل ما يسمع من الأمور مطبقاً ذلك على الكتاب الكريم والسنة الشريفة، فإنما هما المحك الرئيسي للمسلمين في تشخيص الحق .

٢- أن يكون ذا اطلاع كاف على تاريخ الحسين (ع) وأصحابه وأهل بيته قبل وفي أثناء وبعد واقعة كربلاء. والأفضل أن يراجع ذلك التاريخ أولاً.

٣- أن يكون ذا اطلاع كاف على أوضاع الخطباء ، أساليبهم وأقوالهم .

أهداف الحسين (ع)

يضع السيد الصدر منهجاً لفهم أهداف الثورة الحسينية يجعل الباحثين والدارسين والمفكرين بمنأى عن الخروج عن الأهداف الحقيقية ، حيث يشترط أن تتمتع هذا الأهداف بالخصائص الآتية:

١-أن يكون الشيء الذي نتصوره هدفاً للإمام الحسين (ع) أمراً مرضياً لله عز وجل ، لا تشوبه شائبة عصيان ، أو أن يكون مرجوحاً في الشريعة المقدسة ، مثل حب الدنيا وطلب المال والجاه والسيطرة المنفصلة عن الأمر الإلهي والتكليف الشرعي .

٢- أن يكون الهدف الذي نتصوره مناسباً مع حال الحسين (ع) وشأنه، لا أن يكون هدفاً مؤقتاً أو متدنياً أو ضئيلاً . فإن ذلك مما لا يصح له وجود هذه التضحية الكبيرة التي قدمها الحسين (ع) .

٣- أن يكون أمراً متحققاً أم في الحال في المستقبل . ولا يجوز أن نطرح له هدفاً فاشلاً وغير متحقق أو غير قابل للتحقيق ، فإنه خلاف الحكمة الإلهية . ولا يمكن أن ننسب ما هو فاشل وعاطل إلى الحكمة اللامتناهية ثم يذكر السيد الصدر الأهداف المحتملة للإمام الحسين (ع) وهي :

١-أن لا يبايع الحاكم الأموي يومئذ كما طلب منه ، فإنه عليه السلام رفض بكل قوة وصمود . كما ورد عنه أنه قال : ومثلي لا يبايع مثله . فقد تحمل القتل والتضحيات الجسيمة في سبيل ترك هذه البيعة الدنيئة. وأنه (ع) اعتبر البيعة ذلة حين يدخل تحت السيطرة الأموية . هذا إذا تركه الحاكم هو وشأنه ، بل أرسلت السلطة جماعة من القتلة لاغتيال الحسين (ع) في مكة حتى لو وجدوه متعلقاً بأستار الكعبة .

٢- الهدف الآخر الممكن لحركة الحسين (ع) هو الإمتثال لأمر الله تعالى إياه بها ، ذلك الأمر المعروف لديه إما بالإلهام أو بالرواية عن جده النبي (ص) . وكان يطلب ثواب الله وجزاءه الآخروي على ذلك تماماً ، كما يفعل أي مؤمن حين يؤدي أي واجب ديني كالصلاة والصوم والحج . ويدل على ذلك ما ورد عن جده (ص) أنه قال له في المنام : يا بني لابد لك من الشهادة ، وأن لك درجات عند الله عز وجل لن تنالها إلا بالشهادة . وأن الحوراء زينب (ع) وضعت يديها تحت جسده الطاهر وقالت : اللهم تقبل منا هذا القربان .

٣- فضح بني أمية ومن على شاكلتهم، وأنهم ليسوا فقط ظالمين لأنفسهم بل ظالمين للناس في حكمهم غير العادل. وأنهم على استعداد لقتل الرجال والأطفال وسبي النساء ، وقتل خير الخلق من أجل التمسك بالحكم والكرسي . وقد تحقق هذا الهدف مباشرة بعد واقعة كربلاء ومازال ساري المفعول وسيبقى إلى يوم القيامة .

٤-طلب الإصلاح أو محاولة الإصلاح في الأمة المسلمة حيث قال : أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالما ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر .

٥-الإستجابة لأهل الكوفة حين طلبوا منه القدوم عليهم وأخذ البيعة منهم وممارسة الحكم بينهم. وهذه الإستجابة وإن كانت صحيحة بحسب الحكم الظاهري في الشريعة . إذ يجب عليه (ع) أن يستجيب لمثل هذا الطلب الجليل . ولكننا مع ذلك لا يمكن أن نعتبره هدفاً حقيقياً للحركة ، وإنما هي استجابة لابد منها لسد الأسنة وقطع المعاذير من ناحية، والتكلم مع الناس على قدر عقولهم.

٦- إعطاء الأمثولة للدين الحنيف القويم ، وأنه يستحق هذا المقدار العظيم من التضحية والفداء في سبيل الله وفي سبيل إقامة الأحكام الإسلامية والشعائر الدينية . وينبغي أن نلاحظ أن الأمر هو مربوط بالله سبحانه قبل أن يكون مربوطاً بشيء آخر لأن الدين على عظمته إنما اكتسب الأهمية لأنه أمر الله ونهيه، والرسول إنما اكتسب الأهمية لأنه رسول الله ، والمعصومون إنما حصلوا عليها لأنهم أولياء الله .

يا ليتنا كنا معكم

هناك عبارة يكررها خطباء المنبر الحسيني حتى أصبحت متعارفة وتقليدية وهي قولهم (يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً). وهذه العبارة مأخوذة من رواية عن الإمام الرضا (ع) يقول لابن شبيب : إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين (ع) فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً .

واللفظ الأهم في هذه الجملة هو (معكم) . فإن المعية قد تكون مكانية، وقد تكون زمانية ، وقد تكون معنوية. فالمتكلم بهذه الجملة مرة يتمنى أن يكون مع شهداء كربلاء في الزمان والمكان المعنيين اللذين كانوا فيهما، وأخرى أن يكون معهم معنوياً .

ويرد السيد محمد الصدر على من يرى أن كلمة (ليت) تفيد امتناع الشيء ، وتطلق للشيء المستحيل، فيقول : إن القرآن الكريم يقول (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا) (مريم :٢٣) مع العلم أن الموت في أي وقت ممكن بقدرة الله سبحانه . ومحل الشاهد من ذلك أن التمني للممكن أمر ممكن. فإذا عرفنا أن (المعية) المعنوية مع أصحاب الحسين (ع) أمر ممكن في أي مكان وزمان لأنها تعبر عن المعية القلبية والفكرية، وهي المعية الأهم والألزم. فإذا كانت ممكنة كان تمنيها ممكناً ، ويمكن أن يقصدها الفرد حين يقول : يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً . والحق أن المعية المعنوية توجب الفوز العظيم بلا إشكال .

رواة واقعة الطف

يرى السيد محمد الصدر أن الرواة الأوائل لحادثة الطف منحصرون في الأقسام التالية :

١- الأئمة المعصومون (ع) بعد الحسين (ع) وخاصة الثلاثة الذين كانوا بعده مباشرة وهم الإمام السجاد والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام . فلهؤلاء الأئمة قسط من ذكر واقعة الطف . ومع ذلك لا نستطيع أن نأخذ عنهم التفاصيل كما نريدها، لأنهم عليهم السلام كانوا يتحدثون بمقدار ما تقتضي المصلحة في زمانهم، فكانوا يركزون على الجانب المعنوي لواقعة الطف، والدفاع عن قضية الحسين (ع). ولا تكون لهم رواية أو نقل الحوادث إلا ما جاء عرضاً خلال الحديث. إذن فلا ينبغي أن نتوقع سماع حديثهم عن التفاصيل الكثيرة التي نريدها .

٢- النساء من ذرية الحسين (ع)، وذرية أصحابه ، بعد عودتهن إلى المدينة المنورة ، فمن الممكن أن يتحدثن عما رأينه عن تلك التفاصيل. وتعتبر كل واحدة منهن شاهد حال حاضر للواقعة . ومع ذلك يجب أن لا نبالغ في ذلك لأمرين: الأول، أن النساء كن موجودات في الخيام ، ولسن مشرفن على الواقعة ولا متابعات للحوادث، ولا يعرفن أشخاص الرجال الأجانب بأسمائهم. الثاني: كانت المصلحة الدينية والإجتماعية تقتضي إقامة المزيد من المآتم على واقعة الطف بعد عودتهن إلى المدينة المنورة. إذن قد انشغلت النساء بمهمتهن المقدسة ولم تجد إحداهن الفرصة الكافية لرواية التفاصيل .

٣- الأطفال القلائل الذين نجوا من القتل ، واستطاعوا الهرب كأحمد بن مسلم بن عقيل أو عادوا مع النساء كالحسن المثنى . فبعد أن كبروا، من الممكن أن يرووا ما رأوا وما سمعوا. ومع ذلك لا ينبغي المبالغة في أخذ التفاصيل من هؤلاء تاريخياً، لأسباب منها أنهم كانوا مع النساء في الخيام ، وأنهم لا يعرفون أسماء الرجال الموالين والمعادين، وأن فهمهم الطفولي يومئذ لم يكن يساعد على الإستيعاب ، إذ كان معدل عمر أحدهم يومئذ قد لا يزيد على خمس سنوات ، ولم يكونوا معصومين. من جانب آخر لم يجر ذكرهم في إسناد الروايات إلا نادراً .

٤- الأعداء الذين حاربوا الحسين (ع) فعلاً في كربلاء، وكانوا حاضرين خلالها ، ولكنهم نجوا من الموت ورجعوا إلى بلدانهم، فأمكنهم أن ينقلوا القصة، وسمع منهم الناس عنها الشيء الكثير. ويروى أن المختار الثقفي حين أعلن الأخذ بثأر الحسين (ع) كان يقبض على أعدائه واحداً واحداً ، فيسأله عما فعله في الطف ، فيقتله بالشكل الذي قتل به الشهداء هناك. فقد حصل من ناحية الأعداء روايات تفصيلية عن حوادث كربلاء . وهناك أخبار أخرى من غير هذا الأسلوب رويت عن حميد بن مسلم وزيد بن أرقم . فهل تستطيع أن تعتبر هذه الأخبار عنهم هي من أخبار الثقات مع اننا نعلم أنهم أشد الناس فسقاً وعناداً ضد الإمام المعصوم ، بل ضد الله ورسوله أيضاً ، فإذا لم يكن ثقة فكيف يمكننا الأخذ به . لكن الذي يهون الخطب أننا نأخذ التفاصيل من كتب علمائنا الموثوق بهم الأجلاء كالشيخ المفيد في (الإرشاد) والشيخ الأربلي في (كشف الغمة) ، وأبي مخنف والخوارزمي في (مقتل الحسين)، والشيخ التستري في كتابه عن الحسين (ع). إلا أننا مع ذلك ينبغي أن نكون حذرين في النقل لعدة أمور :

١-أن كثيراً مما نقلوا من الروايات هي ضعيفة السند ومرسلة . وعلى كل تقدير لا يمكن الأخذ بها فقهياً. وقد يقال أن هؤلاء العلماء هم الذين تكفلوا صحتها على عاتقهم. فهي معتبرة وصحيحة في نظرهم. وهذا يكفي في النقل وإن كانت مرسلة أو ضعيفة بالنسبة الينا. وجوابه : بالنفي طبعاً . بعني لا يكفي ذلك لأن صحتها التي يعتقدون بها إنما هي صحة اجتهادية وحدسية، وليست حسية لتكون حجة على الآخرين أو الأجيال المتأخرة .

٢- أن هناك كتباً مشكوكاً في نسبتها إلى هؤلاء الثقات ، مثل كتاب (مقتل أبي مخنف) ، وهو مما يعتمد عليه الناس كثيراً . وأبو مخنف رجل صالح وموثق إلا أن نسبة كتابه إليه مشكوكة .

توصيات عامة لخطباء المنبر

يحرص الشهيد محمد الصدر على أن يكون المنبر الحسيني منارة للعلم والوعي ، فيرى أهمية التركيز والمحافظة على الذوق العام والأخلاق والتقيد بالمنهج العلمي في نقل الروايات الصحيحة، فيكتب النصائح الآتية:

١- الوعظ والإرشاد ، فإنه من الضروريات والواجبات في هذا المجتمع وكل مجتمع لكي تصل الموعظة إلى أهلها ويستفيد منها أكبر عدد ممكن سواء كانت الموعظة مرتبطة بقضايا الإمام الحسين (علي) أم لا .

٢- عدم إيذاء أحد من الناس أو الطوائف في كلام الخطباء .

٣-التورع عند نسبة الأقوال والأفعال إلى المعصومين (ع) وغيرهم كذباً .

٤-أن يتورع من نسبة الأقوال والأفعال إلى المعصومين (ع) وغيرهم باعتبار لسان الحال ، شعراً كان ما يقوله الخطيب أم نثراً ، فصيحاً كان أم دارجاً ، ما لم يعلم أو يطمئن بأن لسان حالهم هو كذلك فعلاً .

٥-أن يتورع الخطيب عن ذكر الأمور النظرية والتاريخية أو غيرها مما تثير شبهات حول الأمور الإعتيادية في أذهان السامعين ، ويكون قاصراً أو عاجزاً عن ردها ومناقشتها أو غافلاً عن ذلك ، بل يجب أن يختار ما يقوله بدقة وإحكام ، وإلا فسوف يكون هو المسؤول عن عمله فيقع في الحرام من حيث يعلم أولا يعلم .

٦-أن لا يروي الخطيب أموراً مستحيلة بحسب القانون الطبيعي حتى وان ثبتت لديه بطريق معتبر . فبعض الخطب يروي أن أحدهم تناثر مخه بعد ضربه بعمود على رأسه ، ومع ذلك بقي يتكلم ويسمع ويرد ويجيب . مع العلم أن من تناثر مخه ، فهو ميت لا محالة ، ولا يستطيع الكلام ولا بكلمة واحدة لأن تلف المخ طبياً يعني الوفاة وعدم إمكان استمرار الحياة .

وإذا كان بعضهم يقول أن ذلك قد حدث على سبيل المعجزة ، نقول أن واقعة كربلاء بكل تفاصيلها ليست قائمة على شيء من المعجزات . وإلا لم يكن الإمام الحسين (ع) في حاجة إلى الحرب ، وإلى تحمل هذا البلاء الدنيوي العظيم ، بل كان يمكن بدعاء واحد لله عز وجل أن يقتل كل أعدائه .

٧-أن يدع ما أمكن التفلسف فيه من الحوادث ، أعني التعرض إلى الحكم والأسباب التي اقتضتها ، ما لم يحرز في نفسه الإصابة كذلك وإلا فليدع ذلك إلى أهله وهو خير له في الدنيا والآخرة من أن يكلف نفسه ما لا يطيق ، أو أن يكلف السامعين ما لا يطيقون . فقد تثبت الشبهة في أذهانهم ويكون الخطيب عاجزاً عن ردها أو إقناع السامعين بالرد ، فيتورط بالحرام من حيث لا يعلم . ولا يختص هذا الأمر بكربلاء بل في كل أمور الشريعة .

٨- أن لا ينسب الخطيب الحسيني وغيره إلى غير المعصومين من المؤمنين فضلاً عن المعصومين الوقوع في الحرام قل ذلك أو كثر .

فمثلاً يذكر بعض الخطباء أن نساء الحسين برزن من الخدور ناشرات الشعور ، على الخدود لاطمات ، الوجوه سافرات وبالعويل داعيات ، كما ورد في زيارة الناحية المقدسة المروية عن الحجة (ع) .

فمن قوله (ناشرات الشعور) كونهن كذلك أمام الرجال والأجانب من المعسكر المعادي، وهو مما لا شك في حرمته في الشريعة المقدسة ، فيكون ذكره من باب نسبة ارتكاب المحرم إلى نساء الحسين (ع) . وهذه رواية ضعيفة سنداً بحيث لا تقوم كدليل معتبر على أي شيء، فينتفي الأمر من أصله .